﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: 98]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كَانَ السَّببُ في عَدَاوَة اليهود لجِبْرِيلَ هو عدمَ إنزاله الرِّسالةَ عليهم، نبَّه في هذه الآيةِ إلى مآلِ عداوتِهم لجبريلَ، وهو عداوةُ اللّه وعموم ملائكته ورُسُله؛ لِأَنَّ سَبَبَ الْعَدَاوَةِ هُوَ مَجِيءُ جبريلَ بِالرِّسَالَةِ فتَسَنَّى أَنْ سَجَّلَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللّه لِأَنَّهُ الْمُرْسِلُ، وأعداءُ المَلائِكَة لأَنّهم بِأَمْرِ اللّه يعمَلُون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 27]، وَسجّل عليهم أَنَّهمْ أَعْدَاءُ رُسُلِه لِأَنَّهُمْ عَادَوا الرَّسُولَ، فكانت معاداةُ واحدٍ من الملائكةِ معاداةً للّه وملائكته ورسله جميعًا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾: هو مِيكائِيلُ، اسمٌ علَمٌ على ملَكٍ من الملائكةِ، وذكر أهل اللغة أنَّ لفظ ميكائيلَ، إمَّا أنْ يكون بسيطًا غير مركّب وإمَّا أَنْ يكون مُرَكّبًا من: (مِيكا وإيلَ) كتركيبِ جِبْرائِيلَ وغيرِهما من أسماءِ الملائكةِ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تحمل هذه الآيةُ الكريمةُ وعيدًا شديدًا لكلِّ مَنْ يخالفُ أوامرَ اللّهِ تعالى، فمَنْ كان عدوًّا للّه بمخالفةِ أوامرِه، وللملائكةِ بكراهة أفعالِهم ورفضِه الحقَّ الذي جاءُوا به من عنده تعالى، ولرسله بتكذيبهم أو قتلِهم، وعدوًّا لجبريلَ وميكائيلَ خاصَّة، فإنَّ اللّهَ عدوٌّ له بسبب كفره، ومَنْ عاداه اللّهُ باءَ بكلّ عذابٍ تقتضيه عداوةُ اللّهِ تعالى، فهو في العذاب المهين[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/623.
(2) الزبيدي، تاج العروس: (ميكل).
(3) مجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط: 1/149.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ المجازِ في الشَّرطِ والجزاءِ:

ذِكْـرُ المـلـزومِ وإرادةُ الـلَّازمِ لأثرِه في النَّفس؛ تـقـبـيـحًـا لـه وتـحـذيـرًا من نتيجتِه

لـمّا كانت مخالفةُ اليهودِ أوامرَ اللهِ، وكراهتُهم القيامَ بطاعتِه، وتربُّصُهم بأوليائِه ومعاداتُهم لهم؛ لازمةً لعداوتِه سبحانَه، ناسبَ استعمالَ لفظِ العدوِّ للتَّعبير عنها؛ لأنَّ العدوَّ للغير هو الذي يريد إنزالَ المَضارِّ به، وهذا التَّصورُ يستحيل في حقِّه تعالى من العاقلِ المتفطِّنِ لا الغافلِ المُتغابي، فذكرَ الملزومَ وأرادَ اللَّازمَ؛ لِعمومِ المعنى الذي يتضمّنُه الملزومُ بلفظٍ واحد إيجازًا في الكلام، ولإقامةِ الحُجَّةِ عليهم، كما أنّ قولَه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ مجازٌ كذلك[1]؛ بذكرِ الملزومِ وهو العداوةُ وإرادةِ اللَّازمِ وهو مجازاتُهم على مخالفاتِهم، واستعملَ المجازَ لأنَّ لفظَ العداوةِ أشدُّ تأثيرًا في النَّفسِ من أيِّ لفظٍ دالٍّ على المُجازاةِ.

معنى حرفِ الواوِ:

مـقـصـودُ العطفِ البيانُ والتَّمثيلُ، لا الحصرُ والتَّعيينُ

جاءَتْ الواو تحملُ معنى العطفِ على الأصلِ، فمن عادَى ملائكةَ اللهِ أو رسلَه فإنَّه على الحقيقةِ قد عادَى اللهَ تعالى، فالعطفُ في قولِه تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ للبيانِ والتَّمثيلِ، لا للحصْرِ أو التَّعيينِ، فمن عادَى أولياءَ اللهِ باعتبارِهم أولياءَه فقد عادَى اللهَ، وهكذا يُقال في كلِّ مَنِ انتسبَ إلى اللهِ تعالى بنوعِ انتسابٍ، ولا تُتصوَّرُ معاداةُ جبريلَ عليه السلام وحدَه إلَّا بمعاداةِ اللهِ تعالى.

نُكتةُ ذِكرِ الجمعِ في مَقامِ إرادةِ الجِنسِ:

عـداوةُ أحـدِ الـرُّسُلِ معاداةٌ لـلـجـمـيـعِ، فالعداوةُ في الله لا تَتَجزّأ

ليس المقصودُ أنْ يكونَ العدوُّ عدوًّا لجميعِ الملائكةِ ولا لجميعِ الرُّسُلِ؛ لأنّهُ أرادَ جنسَ الملائكةِ وجنسَ الرسلِ، وآثر ذكرَ الجمعِ؛ لأنّهُ قصدَ أنْ يكون الحكمُ على الواحدِ من الملائكةِ والرُّسُلِ حكمًا على الجميعِ، وأنّه لا تفرقةَ بينهم جميعًا، فمَنْ عادَى واحدًا من

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/515، والنيسابوري، غرائب الفرقان: 1/343.

الملائكة فقد عادَى اللَّهَ وملائكتَهُ ورسلَه جميعًا، ومَنْ عادَى واحدًا من رُسُلِ اللهِ فقد عادَى اللهَ وملائكتَهُ ورسلَه جميعًا.

بلاغة وضع الاسم الظاهر موضع المضمر:

دفعُ الالتباسِ، وتفخيمُ الأمرِ وتعظيمُه المناسبُ لتفخيمِ الجزاءِ

أظهرتِ الآيةُ ما حقُّه الإضمارُ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: (فإنّه)؛ لوجهين:

أحدهما: لئلا يلتبس الكلام، فلو قيل: (فإنَّه عدوٌّ للكافرين)؛ لتردَّد السامع في المَعْنِيّ بالضَّميرِ: آللهُ أم رسلُ اللهِ جلَّ ثناؤه، أم جبريلُ، أم ميكائيلُ؟ والإظهارُ يدفع الالتباسَ[1].

الثاني: إظهارُ اسمِ الجلالة ﴿ٱللَّه﴾ الجامعِ لأوصافِ الجلال والجمالِ يشعر بالقدرة العظيمة؛ فهو لتفخيمِ الأمرِ وتعظيمه[2]، فلمّا كان الجزاءُ مبهمًا لعظمة عداوة الله تعالى ناسبَ ذكرَ اسمِ الجلالةِ بلفظِه الظَّاهر؛ تخويفًا وترهيبًا، وحثًّا على تركِ عداوة اللَّه وملائكته ورسله.

نكتة تقديم الملائكة على الرسلِ:

ملاحظةُ التَّرتيبِ الوجودي، ومتابعةُ الفرعِ للأصلِ

جاء التَّرتيبُ اللفظيُّ متناسِبًا مع التَّرتيبِ الوجوديِّ، فوجودُ الملائكةِ سابقٌ لوجودِ الرُّسُلِ عند ظهور الإرسال، وكذلك عداوةُ الملائكةِ مقدَّمٌ على عداوةِ الرُّسُل في الحقيقةِ، إذ معاداةُ الفرعِ تابعٌ لمعاداةِ الأصلِ، والكلُّ تابعٌ للّه تعالى.

توجيه المخصوص بالذِّكرِ:

العنايةُ بمن عُودي بغيرِ وجهِ حقٍّ بالذِّكر تشريفًا وتعظيمًا

خُصَّ المَلَكانِ ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ بالذِّكر بعدَ دخولِهما إجمالًا في لفظ ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾؛ تشريفًا لهما وتفضيلًا على غيرِهما، فإنَّ ما نالاه من عداوةِ اليهودِ حريٌّ أن يُخصَّا بالذِّكرِ في موطنِ الشَّرفِ، وهذا من قبيلِ تنزيلِ التَّغايرِ في الوصفِ منزلةَ التَّغاير في الذات[3]،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/396.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/333، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/624.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/170.

ولأنَّ الآيةَ نزلت فيما يتعلَّق بهما كما جاء في الرِّوايات، فحَسُنَ أنْ يَنُصَّ على اسميهما[1].

العُدولُ عن الضَّميرِ إلى ظاهرٍ مقصودِ الوصفِ:

تعليلُ العداوةِ سببٌ للانكفاءِ عنها، وطريقٌ إلى الإيضاحِ والبيانِ

عدلتِ الآيةُ عن الضَّميرِ إلى الوصفِ الظَّاهرِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ فلم يُقَل: (فإنَّ اللّه عدوٌّ لهم)، بالضَّميرِ مع أنَّه أوجزُ لفظًا؛ ليفيدَ أنّ اللّه عدوّ للكافرين بوصفِهم كافرين، وأنّ اللّه اتَّخذَ المعادين له أعداءً بسببِ كفرِهم، ولِتَكُونَ الجُمْلَةُ تَذْيِيلًا لما قبلهَا[2]، وفي هذا الكلامِ تسليةٌ للمؤمنين؛ فإذا كان اللّهُ عدوًّا للكافرين فهو قريبٌ من المؤمنين محبٌّ لهم.

فائدةُ تأكيدِ الفاصلةِ القرآنيَّة:

التَّأكيدُ على أنَّ مضمونَ الفاصلةِ حكمٌ عامٌّ ثابتٌ لا يتغيّرُ

جاءتِ الفاصلةُ القرآنيَّةُ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ مصدّرةً بـ(إنَّ) لتقريرِ المعنى وتأكيدِه مع ثباتِه وقَراره، وجاءت الجملةُ التذييليَّةُ اسميّةً للدّلالة على تحقيقِ المعنى وثَباتِه[3]، وللتَّأكيدِ على أنَّه حكمٌ عامٌّ ثابتٌ لا يتغيّرُ.

بديعُ المُقابلةِ بينَ الفاصلتين:

اختلافُ النَّظمِ تابعٌ لاختلافِ المعنى وموقفِ الفريقين

قابلتْ فاصلةُ هذه الآيةِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ فاصلةَ الآيةِ السَّابقةِ: ﴿وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ لبيانِ الفرقِ بين الفريقين المبنيّ على الموقف المتباين من رسلِ اللّه ورسالاته، وقد اختلف النَّظمُ في الفاصلتين؛ إذْ جاءتْ في حقِّ المؤمنين سَلِسةً رَقْراقةً عذبةً، بينما جاءتْ في حقِّ الكافرين مُؤَكَّدَةً ثابتةً فخمةً.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/396، والنيسابوري، غرائب القرآن: 1/343.
(2) الزمخشري، الكشّاف: 1/170، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/624.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 1/333.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»